

التصور المستقبلي للعرب الفلسطينيين في إسرائيل؛ قصة المجموعة

غيداء ريناوي زعبي

موجهة مجموعات، مركزة وموجهة مجموعة «التصور المستقبلي»

مقدمة

أودّ في هذه المقالة أن أستعرض السيرورة التي مرّت بها المجموعة التي عكفت على تحضير وثيقة «التصور المستقبلي للعرب الفلسطينيين في إسرائيل». وذلك من موقعي كمركزة وموجهة لمجموعة التصور ومن زاوية رؤيتي لهذه السيرورة الجماعية، فقد عملت المجموعة على مدار سنتين تقريباً حتى إصدار الوثيقة في كانون الأول 2006.

وأودّ تبيان السيرورة التي مرّت بها المجموعة، ونموّها من حالة كانت فيها عدداً من الأفراد، حتى أصبحت مجموعة مبلورة متكاملة، أنشأت لها لغة داخلية مشتركة وهدفاً متفقاً عليه، وأثمرت في نهاية المطاف نتائجاً ملموساً نال أصداءً غير عادية في الحيز العام في إسرائيل وخارجها. بوذي الادعاء أيضاً أنّ هذه السيرورة أحادية القومية هي سيرورة معززة للتغيير، وأنها، بخلاف ما وجّه لها، لا تعرقل تطوّر العلاقات بين الفلسطينيين واليهود من مواطني إسرائيل ولا تدهورها. وأعتقد أنه فقط حين تدعم المجموعة الفلسطينية في إسرائيل نفسها، عندها فقط يمكن لها خلق ميزان علاقات صحية ومتساوية مع مواطني الدولة اليهود¹.

خلفية نظرية

نجد في الأدبيات النظرية التي تُعنى بالعمل مع المجموعات الاجتماعية المقصاة أو المميّز ضدها تاريخياً، وصفاً لسيرورة تدعيم أحادي الجانب للمجموعة في سياقات مختلفة. هذه السيرورة قد تنشأ في مجموعات قومية أو جندرية أو طبقية. المجموعة الاجتماعية التي تواجه واقعاً من الاضطهاد والإقصاء، وتمرّ بسيرورة تدعيم أحادي الجانب، تنتقل رويداً رويداً من مرحلة انعدام الثقة بقواها الداخلية وقدرتها على تغيير الموجود، إلى مرحلة تنشأ فيها ديناميكية داخلية-جماعية تكفّ فيها المجموعة عن التعاطي مع الخارجي، المسيطر، «الأخر»؛ وعن التفكير بـ «ماذا سيكون رأيه حول ما فعل أو نقول»، بل تتعامل بالأساس مع ميّزاتها وشحناتها وأهدافها الخاصة. وينشأ بالتالي مسارٌ يميّز بالانفصال من جهة، والشعور بالوحدة والاستقلالية من جهة أخرى. هذه السيرورة تدعّم المجموعة لا بل وتشكّل رافعة لعملها.

كما تشير الأدبيات إلى سيرورة تدعيم المجموعة الأحادية القومية وتوجّهها نحو التغيير المجتمعي كـ «حل مناقض للحل الفردي القائم على الحراك الفردي، فهو جهد لأفراد من مجموعة الأقلية من أجل تغيير مكانة مجموعتهم المتدنية. حين يحدث هذا، يطالب أبناء المجموعة ذات المكانة المتدنية بتغيير المبنى الاجتماعي القائم. بخلاف الحل الأول، الذي في صلبه التغييرات على صعيد الفرد، يجري الحديث هنا عن حل

1 تطرّق رباح حليبي في كتابه «حوار الهويات» (2000) إلى هذه المسألة بقوله إن «علاقات القوة... تتغير فقط حين تقوى المجموعة العربية، وتضطر المجموعة اليهودية للتغير حسب ذلك. لذا نستخلص، أن العلاقات غير المتوازية في الخارج قد تتغير فقط عندما يقوى العرب في إسرائيل ويفرضون التغيير». (6. حلبي ون. زونشي، توديع، زهوت وايتنور حمزاوت، شمس، لعمري 21).

(من خلال) التغيير المجتمعي على صعيد المجموعة كلها².
تجفل وتيرنر (1986)، بعرضهما نظرية الهوية الاجتماعية³،
يقدمان سيرورة اختيار مجموعة العمل من أجل تغيير مكانتها
الاجتماعية: حين ترى هذه المجموعة أن الواقع غير عادل أو
غير متوازن أو غير مستقر، ستعمل من أجل تغيير هذا الواقع
وتواجه المجموعة ذات القوة.

يمكن إيجاد مؤشرات شبيهة على سيرورة تدعيم المجموعة في
العمل مع مجموعات النساء. صحيح أن المفاضلة ليست مفروغ
منها وتدرج هنا مع تحفظات، لكن بالإمكان الادعاء أن السيرورة
التي تمرّ بها مجموعات التدعيم المجتمعي تشابه في عدة
ميّزات السيرورة التي تمرّ بها مجموعات النساء. في كتابها
الشامل "all for is Feminism" (2000)⁴ تشني بيل هوكس
العمل الذي بذل في "مجموعات رفع الوعي" للنساء في الولايات
المتحدة الأمريكية في ستينيات القرن العشرين. وتصف الكاتبة
النشاط الذي شكّل قاعدة للتغيير الاجتماعي-السياسي الذي
حققته النساء لاحقاً: "قاعدة هذا العمل بدأت مع نساء اخترن
التفكير الشوفيني وخلقن استراتيجيات يستطعن من خلالها
تغيير تعاملنا ومواقفنا وتبديلها بتفكير نسوي والتزام بسياسة
نسوية".

كما تتطرق أرييلا فريدمان في مقالها "عن النسوية، الأنوثة
وقوة النساء في إسرائيل" (1999) إلى صعوبة أن تحقق النسوية
كحركة اجتماعية تغييراً على المستوى الجماعي، قياساً بنجاح
نساء على المستوى الفردي في تغيير مكانتهن وظروف
معيشتهن. وتحدّث عن "القوة الفردانية" مقابل "العجز
الجماعي"، حيث لا تعمل النساء "كمجموعة يمكنها الانتظام
والعمل على تغيير وضعها... تعمل نساء كثيرات في العقود
الأخيرة على تغيير مكانتهن، وتغيير توزيع الأدوار والقوة في
العائلة، وتغيير مكانتهن المهنية. ولكنهن يخضن معظم هذه
النضالات بشكل فردي، ونادراً ما يحدث هذا من خلال انتظام
مجموعة تناضل من أجل تغيير السياسة أو القواعد التي تميّز
ضدهن".

تكمّن خاصية مجموعة التصور في أن سيرورتها - وبخلاف
السيرورات الكلاسيكية لمجموعات اجتماعية تمرّ بسيرورة تدعيم
لتغيير مكانتها - رافقتها مهمة واضحة هي خلق نتائج جماعي في
نهاية السيرورة. وكان هذا مقياس النجاح بالنسبة للمجموعة.
هذه الديناميكية ساعدت المجموعة على أن تكون دقيقة
وصاحبة هدف محدد: إنتاج وثيقة مكتوبة تطرح تصوراً مستقبلياً
للعرب الفلسطينيين في إسرائيل.

وصف بناء التصور

في نيسان 2005 قرر رئيس لجنة المتابعة العليا للجماهير
العربية ورئيس اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية
في إسرائيل، السيد شوقي خطيب، إقامة مجموعة تفكير من
الأكاديميين ونشطاء جماهيريين عرب، بهدف صياغة تصوّر
استراتيجي مستقبلي، في استطاعته تحديد المكانة المنشودة
للجماهير العربية الفلسطينية في إسرائيل بعد حوالي
العقدين.

باشر خطيب هذا التحرك ورأى فيه استمرارية مباشرة لمشروع
الطاولة المستديرة، (مجموعة التفكير الاستراتيجية المكونة من
أكاديميين التي بادر إليها بعد يوم القدس والأقصى عام 2000،
والتي راح ضحيتها 13 شاباً فلسطينياً من مواطني الدولة قتلتوا
بنيران قوات الأمن الإسرائيلية، والتي كان وما زال لها أثر كبير
على علاقات العرب واليهود في البلاد وعلى علاقة الجماهير
العربية الفلسطينية بالدولة).⁵

وكانت بداية بلورة التصور المستقبلي بإجراء مقابلات شخصية
مع عشرة أكاديميين ونشطاء جمهور مختصين في مجالات
السياسة، القانون والقضاء، العلوم الاجتماعية، التنمية الاقتصادية،
مكانة النساء، والثقافة والتعليم. كان هدف المقابلات محاولة
إجراء مسح أولي للاتجاهات العامة للتطور الاجتماعي-السياسي
الحاصل داخل الجماهير الفلسطينية في إسرائيل. كما تطرقت
المقابلات إلى التحديين التاليين:

1. هل يمكن أصلاً التخطيط استراتيجياً ومستقبلياً في
ظل الواقع الصعب الذي تواجهه الجماهير الفلسطينية
في إسرائيل اليوم؟
2. وإذا كان هذا ممكناً، فكيف يمكن استجلاب هذه
الانطلاقة؟

وكانت الخطوة المقبلة دعوة مجموعة صغيرة من النشطاء
والأكاديميين ومنتخبي الجمهور من الحكم المحلي، إلى نقاش
هدفه التفكير بالطريقة الأنسب لولوج عملية كهذه، هوية
المنديبين والمؤسسات المدعوة، وتيرة اللقاءات، وما إلى ذلك.
عُقد اللقاء الأول للمجموعة في تموز 2005 ودعي إليه حوالي
70 شخصاً، من رؤساء سلطات محلية وناشطين جماهيريين
وسياسيين من كافة الأطياف السياسية، ومديري جمعيات،
وأكاديميين. وقد لَبّي الدعوة 15 شخصاً فقط، معظمهم ممّن

5 بعد أحداث يوم القدس والأقصى عام 2000 أقيمت لجنة تحقيق رسمية برئاسة القاضي أور،
حققت في ظروف الأحداث. وقد تطرقت تقرير اللجنة إلى الظروف العينية وكذلك إلى عمق الشرح
بين الجمهوريين، كما اقترح التقرير على حكومة إسرائيل اتجاهات ممكنة لإصلاح الواقع المزري،
http://elyon1.court.gov.il/heb/veadot/or/inside_index.htm
http://www.alarab.co.il/view.php?sel=00007569

2 ن. ندلر، كونفليكس بين كينونياتي والحفחת، בתוך: ר. חלבי، דיאלוג בין
זהויות، (2000)، עמ' 37.

3 Tajfel, H. and J. Turner (1986), "The Social Identity of Intergroup Behavior", In: S.
Worchel and W.G. Austin, Psychology of Intergroup Relations, vol. 24, pp. 24-77.

4 Hooks, B., Feminism is for all, (2000), pp. 8-9.

توجيه المجموعة

تمحور معظم توجيه المجموعة خلال العمل في ثلاثة مبادئ:

1. كل مضمون تقرره المجموعة يتم التوصل إليه بالإجماع. أي أن المجموعة تبحث وتواصل النقاش حتى التوصل إلى اتفاق؛
2. على السيرورة أن تنتهي بنتائج ملموسة يمكن أن تنبثق عنه خطة عمل؛
3. المجموعة هي التي ستقرر مواضيع البحث، وهي التي ستقرر ماهية النتائج النهائي.

وقد لوحظ المرة تلو المرة في السمينار الأول وحتى في السمينار الثاني أن المجموعة توقعت من رئيس لجنة المتابعة واللجنة القطرية أن يدلي بأقواله التلخيصية أو أن يستخدم حق النقض (الفيتو) في هذا الخصوص أو ذلك. إلا أن السيد شوقي خطيب ذكرهم فعلا لا قولا فقط، أنه مساوٍ لباقي أعضاء المجموعة.

أسلوب التوجيه كان مُمحور لإرشاد «مجموعة مَهْمَة» (Task Group) وقطعاً ليس لإرشاد مجموعة سيرورة ديناميكية. وقد حصرت الموجهة نقاشات المجموعة في إطار الغايات التي حدتها المجموعة لنفسها وحسب.

لجنة التوجيه

في نهاية السمينار الأول تقرر إقامة لجنة توجيه من أشخاص تعهدوا بحضور لقاءات دورية مرة في الشهر. وضمت اللجنة ثمانية رجال ونساء من المشاركين في المجموعة، من الأكاديميين ومؤسسات المجتمع المدني من كافة الأطياف السياسية.

ومن هنا فصاعداً، كانت المهمة الرسمية التي أقيمت على عاتق لجنة التوجيه - والتي اجتمعت بالفعل مرة في الشهر على مدار سنتين - تقييم كل لقاء يُعقد والتحضير للسينار القادم، وتحديد سلم الأولويات وإقرار المواضيع التي يتم التركيز عليها. عملياً، كانت للجنة التوجيه وظائف أخرى لا تقل أهمية: حيث بحثت وتخبّطت وقرّرت في تفعيل البرنامج على طول الطريق، كما كانت تشكّل السند الجماهيري لعمل المجموعة أمام البيئة السياسية-الاجتماعية التي عملت فيها.

كتابة الوثيقة

بعد السمينار الثاني أُلقت للجنة التوجيهية على عاتق سبعة من المشاركين في المجموعة - وكل منهم مختص في مجاله - مهمة كتابة أبحاث (Position Paper) في ثمانية مواضيع رأت فيها اللجنة قضايا ملحة جداً:

العرب الفلسطينيون في إسرائيل وعلاقتهم مع الدولة؛ المكانة

كانوا قد شاركوا في نقاشات الطاولة المستديرة قبل بضعة سنوات.

وقد تحدث المشاركون بالأساس عن عدم ثقتهم بقدرة أحد على تغيير شيء، وعن تجربتهم السابقة في المشاركة في نقاشات شبيهة في مؤسسات أخرى، وأن لجنة المتابعة نفسها كانت قد بادرت إلى نشاطات شبيهة في الماضي. وطرح في اللقاء اقتراحات بخصوص الأمور التي يمكن توقعها من عملية كهذه وكذلك التوقعات من لجنة المتابعة واللجنة القطرية للرؤساء. وقد دلت تلك الاقتراحات على مستوى التوقعات المتدني للمشاركين. بالأساس اقترح عرض هذه السيرورة في إطار منتدى ثقافي يلتقي ويتداول في شؤون الثقافة والسياسة، أو خلق "ميثاق شرف" بين الأحزاب السياسية والإعلام، وميثاق الأخلاقيات المهنية والعامة بين الأحزاب نفسها وبينها وبين الإعلام، ومسائل عامة أخرى تتعلق بشؤون داخلية للجماهير العربية.

بعد بناء البرنامج وعشوية دعوة الأشخاص إلى السمينار الطويل الأول، تم العمل بشكل مكثف من خلال لقاءات ومحادثات ومحاولة إقناع أشخاص آخرين بالانضمام. عُقد السمينار الأول في أحد فنادق القدس الشرقية على مدار يومين متتاليين وشارك فيه حوالي 35 شخصاً. حيث قام خطيب ومرشدة المجموعة (كاتبة هذه السطور)، بإعداد قائمة المدعوين التي ضمت معظم المدارس والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة في المجتمع العربي. وقد ضمت المجموعة نساءً ورجالاً، من أكاديميين ونشطاء سياسيين ورؤساء سلطات محلية ومدبري جمعيات من كافة أنحاء البلاد. بعد هذا السمينار، عُقدت ثلاثة سمينارات مطوّلة إضافية حتى إقرار الصيغة النهائية للتصور المستقبلية.

السينار الأول، أيلول 2005

كان هدف السمينار الأول مسح الواقع القائم للمجتمع الفلسطيني في إسرائيل، على المستوى السياسي، الاجتماعي-الاقتصادي، التربوي، والثقافي؛ ووصف الوضع المرغوب «الرؤيوي» بعد عشرين عاماً.

تمحور القسم الأول من اللقاء في وصف الوضع القائم: إيجاد مواطن القوة التي تميز المجتمع الفلسطيني والعوائق التي يواجهها، وموضعها في سياقها التاريخي. أما القسم الثاني فتمحور في وصف التصور المستقبلي ومناقشة السؤال «كيف نريد أن نكون كمجموعة بعد عشرين عاماً؟».

بعد ذلك تمحور معظم العمل في بناء «سلم» يمكننا من الوصول من «هنا» إلى «هناك»، وبناء خطة عملية تفصل النشاطات والموارد المطلوبة لإحداث التغيير.



القانونية للعرب الفلسطينيين في إسرائيل؛ سياسة الأرض والتخطيط والبناء؛ استراتيجية التطوير الاقتصادي؛ الثقافة العربية الفلسطينية في إسرائيل؛ استراتيجية التطوير الاجتماعي؛ الرؤية التربوية لجهاز التعليم العربي؛ والعمل الجماهيري السياسي. كما قرّرت اللجنة قالب الموحد لكتابة الوثائق وسيرورة الكتابة وعملية التقييم الخارجي. وتقرّر الطلب من مختصين من داخل المجموعة وخارجها أن يقرأوا الوثائق المكتوبة ويقدموا ملاحظاتهم حولها. كما قرّرت اللجنة أن يعرض أحد الكتاب الوثيقة التي كتبها على المجموعة في كل سمينار، وأن يسمع ملاحظاتهم ويعود إلى المجموعة بعد إجراء التغييرات التي طلبتها المجموعة.

وفي نفس المرحلة تفرّغت المجموعة للتخطيط لعملية كتابة المقدمة، التي كان من المفروض أن تكون نتاجاً جماعياً يعرض الرواية التاريخية ووصف الهوية الجماعية ووصف المهمة - لماذا يُكتب التصور المستقبلي. وكانت هذه المهمة الأصعب: مجموعة من حوالي 40 شخصاً تكتب وتناقش وتوافق في النهاية على كل كلمة تتضمنها هذه المقدمة. قامت المرشدة بتجميع كافة الصياغات التي طرحتها المجموعة حول الوضع المنشود- الرؤيوي خلال السمينارين الأول والثاني، وقدمتها للمجموعة في السمينار الثالث. خلال هذا اللقاء انقسم المشاركون إلى مجموعات عمل صغيرة ونوّهوا وأعادوا الكتابة وحذفوا وأضافوا. بعدها، في الهيئة العامة، ناقشت المجموعة الملاحظات والتعديلات. وتطوّرت العملية على نحو متقطع، بمفهوم أن المجموعة ناقشت النصوص، وانقسمت إلى مجموعات صغيرة حسب الاختصاص، فكتبوا وأضافوا وحذفوا وحرّروا، ثم أعادوا النصوص إلى الهيئة العامة لبحثها مجدداً. صحيح أن هذه السيرورة كان طويلة ومنهكة، لكنها كانت ضرورية لجلب كل الأشخاص وكل الأصوات إلى النص. وكانت النتيجة كتابة جماعية بكل معنى الكلمة.

وكانت المرحلة الثانية حين طلب من قرّاء ومقيمين خارجيين قراءة النصوص وإبداء ملاحظاتهم عليها. ومع أن هذه السيرورة (القراءة، الملاحظات، إعادة النصوص إلى المجموعة وإجراء تغييرات فيها) كانت منهكة هي الأخرى؛ فقد اتفق على أنها كانت ضرورية وأنها قوّت شعور المجموعة بالالتزام والامتلاك الشامل للكلمات والمضامين.

بعد أن اكتملت عملية كتابة مسودات أوراق العمل، طلبت اللجنة التوجيهية من الكتاب إعداد ملخصات وخلاصات لكل بحث، بحيث تعرض بشكل موجز الأفكار المركزية على هيئة مركبات أساسية، كوصف الوضع القائم، غايات التغيير العليا، وآليات لتنفيذ الخطة ونشاطات عملية.

بعد السمينار الرابع، كان الناتج النهائي مبلوراً تقريباً؛ مقدمة

عامّة، وثمانيّة ملخصات تقترح اتجاهات التغيير المستقبلي. وخصّص القسم الأخير من السمينار الرابع لمناقشة سؤال: "ماذا بعد؟"، و"ما العمل بعد نشر التصور المستقبلي؟". وبالفعل، رسمت المجموعة اتجاهات العمل العامة بعد نشر الوثيقة: بناء الحوار على مضامين التصور المستقبلي مع المجتمع الفلسطيني في إسرائيل، و"ترجمة" الوثيقة إلى خطة عملية بعيدة المدى، والخروج إلى المجتمع اليهودي والمؤسسات الإسرائيلية. نُشرت الوثيقة في الخامس من كانون الأول 2006 في مؤتمر صحفي عقد في الناصرة⁶. ومنذ ذلك التاريخ، ذُكرت وثيقة التصور المستقبلي مئات المرات في الإعلام العربي المحلي والإسرائيلي والعربي والعالمي وأثارت ردود فعل قوية ومتنوعة.

من التردّد إلى الوضوح

المجموعة التي ضمت قرابة الأربعين شخصاً كانت مركّبة، بالأساس بسبب التناقضات التي اشتملت عليها: مدارس سياسية متنافسة، توجّهات اقتصادية اجتماعية مختلفة، وأيضاً مندوبون من حقول عمل مختلفة.

نشأت المجموعة في ظروف غير سهلة من حيث انعدام الإيمان بالقدرة الجماعية على تغيير الواقع وانعدام الإيمان بقدرة اللجنة القطرية للرؤساء على تغيير شيء في هذا الصدد.

وكما أسلفنا أعلاه، فقد أعرب المشاركون في البداية عن عدم ثقتهم بالقدرة على التغيير، وأدعى معظمهم أنهم كانوا شاركوا في نقاشات من هذا النوع في السابق، وقد دلت اقتراحاتهم على مستوى توقعاتهم المنخفض من هذه المبادرة أيضاً.

وكانت نقطة التحول في السمينار الثالث، حين أخذ «الناتج النهائي» يتشكّل وراحت معالمه تتضح شيئاً فشيئاً. في هذا السمينار مرّت المجموعة بنقطة تحوّل حقيقية حين ناقشت الصيغة النهائية للفقرة الافتتاحية في المقدمة، حيث بدا واضحاً أن هذه الفقرة ستحدّد نبرة النص برمته.

تمحور النقاش حول مسألة الهوية القومية للفلسطينيين في إسرائيل كمجموعة، مقابل الهوية المدنية، حيث جاء في المقدمة:

"نحن العرب الفلسطينيون في إسرائيل، أهل البلاد الأصليون ومواطنون في الدولة وجزء من الشعب الفلسطيني والأمة العربية ومن الفضاء الثقافي العربي والإسلامي والإنساني.

لقد أدت نكبة العام 1948 إلى إقامة دولة إسرائيل على 78% من مساحة فلسطين التاريخية. ووجدنا أنفسنا نحن الباقون في وطننا (حوالي 160,000 نسمة) داخل حدود الدولة اليهودية، مفصولين عن بقية أبناء شعبنا الفلسطيني والعالم العربي، اضطررنا لحمل المواطنة الإسرائيلية وتحوّلنا إلى أقلية في وطننا

التاريخي“⁷.

ساد في المجموعة شعور بثقل المسؤولية، بالأساس تجاه الداخل؛ تجاه المجتمع الفلسطيني في إسرائيل، الذي تشكل المجموعة جزءاً منه. ورغم أن النقاش انصبَّ على طابع مواطنة الفلسطينيين في إسرائيل، وفي سياق الحياة إلى جانب المجتمع اليهودي، لم يُطرح في أي من تلك النقاشات تساؤل من أي من المشاركين في المجموعة حول “ماذا سيفكر اليهود عمّا نكتبه؟”. ومن الوارد أن تكون الديناميكية التي نتجت طوال السمينارات قد أدت إلى شعور جماعي داخلي مبلور وواضح، لدرجة نشوء الوهم اللحظي بأن اليهودي غير موجود في النقاش.

كما تميّز السمينار الثالث بديناميكية إضافية: حيث بدأ أعضاء المجموعة بالاعتزاز بانتمائهم لـ “مجموعة التصور”. وعشية انعقاد هذا السمينار، تلقى الطاقم المخطط توجهات عدّة لأشخاص ونشطاء من خارج المجموعة طلبوا الانضمام لمجموعة التصور.

تيارات تحت-أرضية

وإذا قلنا بأن اليهودي - الآخر - لم يكن حاضراً في تخطات المجموعة، فمن الذي كان حاضراً؟

الخارجيين لقضايا النوع الاجتماعي (Gender Mainstreaming). أما الصوت الآخر فادعى أن ليس في مقدورنا ضمان هذا، لأن الحساسية لقضايا النوع الاجتماعي ليست مبلورة بشكل كاف، ولأن الاقتراح بـ «إبداء الحساسية» سيحول دون تمثيل لائق لأجندة النوع الاجتماعي. والحوار الذي دار بين المجموعة على صفحات الإنترنت قبيل السمينار الثالث كان الحوار الأكثر فاعلية الذي خاضه المشاركون.

في السمينار الثالث طفا التوتر الجندري داخل المجموعة على السطح، لا بل وطرح ادعاء صريح بأن مجموعة التصور لا تضمن التمثيل النسائي اللائق، وبعد نقاشات طويلة تقرّر عدم كتابة فصل خاص عن النساء، وأن على كل الكتاب ضمان الحساسية الجندرية الكافية. كما تقرّر بعد السمينار الثالث أن يتم تقسيم المجموعة في السمينار الرابع (الذي ستقرّر فيه ملخصات الوثائق) إلى مجموعات فرعية حسب المواضيع المقرّرة، على أن ترشد كل مجموعة فرعية واحدة من المشاركات في المجموعة وتقود نقاشاً حول قضايا النوع الاجتماعي في كل فصل. وهذا ما حدث.

لقد ساعد هذا النقاش كتاب الأوراق البحثية على بلورة أفكار بديلة تشتمل على الحساسية الجندرية، وعلى تضمينها في أوراقهم. ولكن بدا واضحاً وبشكل جارف، أنهم لم يحظ بقدره حقيقية على استجلاب وجهة النظر الجندرية كاملة. وكان كاتب الفصل الاجتماعي بمثابة استثناء، حيث عاد مراراً إلى النساء في المجموعة طالباً موافقتهن على اتجاه الكتابة. من الطبيعي إذاً أن يكون هذا الفصل أكثر الفصول حساسية لقضايا النوع الاجتماعي.

وبطبيعة الحال، أخذ فصل العمل الجماهيري والسياسي قضايا النوع الاجتماعي في الحسبان. وليس هذا بمفاجئ، نظراً لحقيقة أن النساء الفلسطينيات في إسرائيل فاعلات وحاضرات بقوة كبيرة في المجتمع المدني وواقع العمل الاهلي. ويبدو أن كتابة هذا الفصل أخذت بعين الاعتبار الحضور المكثف للنساء في هذا المجال.

■ **الاقتصاد** - كان التوتر بين الأيديولوجيات الاقتصادية- الاجتماعية قائماً في المجموعة، لكن بصورة أقل علانية. ومن المثير أنه في اللحظات التي ظهر فيها هذا التوتر، كان للنساء في المجموعة حصة كبيرة فيه. ويبدو أن

■ **النوع الاجتماعي** - كما في أي مجموعة أخرى، كانت هناك تحت السطح تيارات لأجندات ونصوص مستترة مختلفة. وكانت مسألة النوع الاجتماعي أحد أقوى هذه التيارات التي ظهرت بوتيرة عالية. كان واضحاً منذ البداية أن على المنظمين أن يبذلوا جهداً في مرحلة تشكيل المجموعة لضمان مشاركة نساء، قيادات ومختصات في مجالاتهن. وفي نهاية المطاف، كان ثلث المشاركين في المجموعة نساء، ما أثر على العمل في كل مرحلة ومرحلة من وضع النص. وقد وصل التوتر الجندري في المجموعة ذروته حين توجّب على المجموعة، قبل السمينار الثالث، أن تقرّر نهائياً المواضيع التي سيشملها النص النهائي، وتلك التي لن يشملها لضيق المساحة.

في هذا السياق، ارتفع في المجموعة صوتين واضحين بخصوص سؤال وجوب تخصيص فصل منفرد لقضية المرأة في الوثيقة. كان هناك من ادعى أن تخصيصاً كهذا سيؤدي في النهاية إلى تكريس الاعتقاد السائد الذي تواجهه المرأة الفلسطينية بأنها «مشكلة خاصة تتطلب علاجاً خاصاً»؛ وعليه، لا يمكننا تخصيص فصل منفرد، وإنما ضمان أخذ وجهة النظر الجندرية في كل واحد من الفصول، وضمان حساسية الكتاب والقراء



أيضاً على علاقته مع الدولة.

وكما جاء في التصور المستقبلي:

«إننا نخطو الآن نحو عهد جديد. حيث يتنامى في أوساطنا الوعي الذاتي، الذي يشدّد على الحاجة إلى ترسيم طريقنا إلى المستقبل وبلورة هويتنا الجماعية وصوغ برامج عملنا الاجتماعية-السياسية... يضمّ التّصوّر كافة التيارات في مجتمعنا باعتباره خطاباً فلسطينياً مستقلاً. نتوقع أن يوحد هذا التّصوّر المستقبلي الصفوف ويجد النقاط التي تتلاقى فيها الآراء والعقائد والرؤى المختلفة والمتناقضة أحياناً، على قاعدة الأسس والمصالح الوطنية»⁸.

ثبت المراجع

- Hooks, B., "Feminism is for Everybody", (2000), South End Press, Cambridge, MA.
- Tajfel, H. and Turner, T. (1986). "The Social Identity of Intergroup Behavior". In: Worchel, S. and Austin, W.G., (eds.), "Psychology of Intergroup Relations", Nelson, Chicago.
- اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية في إسرائيل، "التصور المستقبلي للعرب الفلسطينيين في إسرائيل"، (2006)، الناصرة.
- حليبي، رباح، "جوار بين الهويات" (2000)، خط أحمر، إصدار: هاكيبوتس هميوحد، تل أبيب.
- فريدمان آريאלه (1999) "על פמיניזם נשיות וכוח של נשים בישראל". בתוך: ירעאלי ד. ואחרות (עורכות) "מין מגדר ופוליטיקה" קו אדום הוצאת הקיבוץ המאוחד תל אביב.

هذا لم يحدث صدفةً، ذلك أن القضية الاقتصادية راسخة في التوجّهات السياسية-الاجتماعية. وفي هذه الحالة أيضاً كان واضحاً أنّ هنالك صوتين واضحين في المجموعة ومتناقضين أحياناً. الأول أعرب عن رغبته بالاندماج في الاقتصاد الإسرائيلي القائم على العولمة والتجارة الحرة، فيما استحضر الصوت الثاني إلى النقاش قيماً اشتراكية كدولة الرفاه. وقد ارتفع كلا الصوتين في السمينار الرابع حين نوقش الفصل الاقتصادي.

ومن الوارد - ولا أعتمد في هذا سوى على انطباعي الشخصي - أنّ الإحباط الذي نشأ خلال السمينار الثالث لدى النساء في المجموعة - لعدم قدرتهنّ على تحديد جدول الأعمال بصورة تامة كما أردن - قد دفعهنّ إلى محاولة التأثير على الأجندة الاقتصادية. وهنا نجح بصورة أفضل. ويبدو أنه كان من الأسهل على الرجال في المجموعة تقبل هذه التوجّهات وليس التوجّهات الجندرية، وأنه كان من الأسهل على النساء إيجاد حلفاء لهنّ بين الرجال في المجموعة، يوافقون على أيديولوجيا اقتصادية قريبة منهنّ.

▪ **الهوية** - بدوره، أثار التوتر بين ربما القصد التراثية والعلمانية حساسية معيّنة على مدار عمل المجموعة. وتركز هذا المحور بالأساس في السؤال أي مجتمع نتخيّل في المستقبل، ما هي القيم والنظريات الاجتماعية والثقافية التي سيحافظ عليها أو يلغها ويغيّرها. وقد انعكس هذا بالأساس في النقاشات حول الورقة الاجتماعية.

وعلى ما يبدو فإن هذا التوتر متعلق بالتغيرات التي تحدث في المجتمعات في شتى أنحاء العالم. حيث تتشابه العديد من سيرورات التطوّر في العالم العربي والإسلامي وتلك في داخل المجتمع الفلسطيني في إسرائيل.

خاتمة

أعتقد أنّ المجتمع الفلسطيني في إسرائيل يمرّ بسيرورة يأخذ فيها كامل المسؤولية على تغيير واقعه. التمييز والعنصرية من طرف المؤسسة الإسرائيلية تجاه العرب قائمان فعلا ولا يمكن تجاهلها. ولكنهما يزيدان حاجتنا كمجموعة لتغيير الطريقة التي نتعامل بها مع هذا الواقع المعطى. تغيير كهذا في التوجّه ينتج قوة من الداخل.

أؤمن بأن مجتمعا فلسطينياً في إسرائيل 2008 - مجتمع قوي وفخور وواثق بنفسه، سيؤثر إيجاباً ليس على نفسه وحسب، بل

8 مهند مصطفى وأسعد غانم، "دولة ضد مواطنيها" - سلسلة دراسات المجتمع العربي، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم 2004، ص.3.